فراشة الحب

الجزء الثاني



رويدة الدعمي

-الجزء الثاني-

(١)

عادت بعد الوداع الأخير وهي محطمة القلب فلقد رحل من كان يسكنه!!
رحل حبيب قلبها وبلسم روحها والدها الرسول..
رحل إلى حيث مكانه الحقيقي في أعالي الجنان حيث لم يصل لتلك المنزلة ولذلك العلو أحد لا قبله ولا بعده!!
فأي بشر كان؟ وأي حزن ترك في قلب ابنته الوحيدة؟!
هو الآن في مقامهِ المحمود وأما هي ففي حزنها العميق..
ما إن دخلت حجرتها تاركةً زوجها علي يجهز رسول الله من حيث الغسل والتكفين والدفن حتى عادت إليها الذكريات إلى تلك الأيام الخوالي..
تذكرت يوم دخل عليها رسول الله ليراها في ثوبها الجديد الذي اشتراه ليوم زفافها فتفاجأ أنها ما زالت ترتدي ثوبها القديم!
حينها وما أن أخبرته بأنها تصدقت بثوب العرس على إنسانٍ فقير حتى ضمها إليه وهو يهمس في أذنها كلمات الحب والمودة والرحمة..
كم هي مشتاقة الآن لتلك الكلمات ولذلك الحضن الدافئ المشبع بالعطف والحنان!
تذكرت كيف عاتبها على فعلتها تلك بابتسامته الجميلة وكيف استقبل جوابها بفرحٍ غامر حينما أخبرته أنها ما تصدقت بثوب عرسها إلا

إمتثالاً لقول الله تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ).
نعم كانت تحب ثوب عرسها كثيرًا حالها حال أي فتاة شابة تتلهف أن تكون أجمل الجميلات في عين زوجها الحبيب..
لكنها في الوقت نفسه كانت تحب ربها أكثر من حبها لبعلها الكرار، كانت تحب تعاليم والدها الرسول أكثر من حبها لليلة زفافها، وكانت تحب الفقراء أكثر من حبها لذلك الثوب الجميل...
لذلك قررت أن تتصدق بما تحب لأجل من تحب!
هكذا حاولت إقناع والدها الحبيب حتى لا يحزن من أجل ثوب زفافها ..
ذكر ابن الجوزي وهو من علماء أهل السنة والجماعة:
(أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله صنع لفاطمة قميصًا جديدًا ليلة عرسها وزفافها، وكان لها قميص مرقوع، وإذا بسائل على الباب يقول: أطلب من بيت النبوّة قميصًا خلِقًا - أي قديمًا باليًا - فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكّرت قوله تعالى:
(لَنْ تَنالوا البِرَّ حتّى تُنْفِقوا مِمّا تُحِبّونَ) فدفعت له الجديد.
فلمّا قرب الزفاف نزل جبرئيل، وقال:
يامحمّد! اللَّه يقرؤك السلام، وأمرني أن أُسلّم على فاطمة عليها السلام وقد أرسل لها معي هديّة من ثياب الجنّة من السندس الأخضر.
فلمّا بلغها السلام، و ألبسها القميص الّذي جاء به لفّها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالعباءة، ولفّها جبرئيل بأجنحته، حتّى لا يأخذ نور القميص بالأبصار.

فلمّا جلست بين نساء كافرات وفي رواية يهوديات - جئن يشاهدنها في يوم عرسها - رفع جبرئيل جناحه ورفع العباءة، وإذا بالأنوار قد طبقت المشرق والمغرب.
فلمّا وقع النّور على أبصار تلك النسوة خرج الكفر من قلوبهنّ وأظهرن الشهادتين).
تذكرت كذلك تلك اللحظة التي دخل فيها والدها الرسول منزلهم هي وعلي وأولادها، فوجد وجوههم مصفرة وأجسامهم ذابلة وعيونهم غائرة!
حينها ضجت به عاطفته فصار يبكي لحالهم وهو يسأل عما جرى لهم وكيف أصبحوا هكذا دون أن يخبروه!!
آه .. أين هو الآن ليرى حالكِ من بعده يا زهراء وأنتِ تمسكين قلبك وتحنين ظهركِ من الحزن والألم عليه؟!
تذكرت كيف صاروا يروون له قصة المسكين واليتيم والأسير الذين وقفوا عند بابهم لثلاث ليال يسألونهم الطعام فتقوم الزهراء مع زوجها علي بجمع ما خبزوه من أقراص خبز الشعير ليعطوه لكل واحد منهم يوميًا ويبقون هم صائمين ليلهم كما نهارهم!!
ثلاث أيام وفاطمة مع زوجها وأولادها لم يدخل جوفهم لقمة طعام واحدة!!!!
نعم فلقد نذرت الزهراء صيام ثلاثة أيام إن شافى الله ولديها من مرضهما الذي حلّ بهما فجأة..
ولم يرضَ أفراد تلك الأسرة الرسالية أن تصوم فاطمتهم لوحدها بل شاركوها جميعًا الايفاء بالنذر بل حتى خادمتهم فضة كانت تشاركهم صيامهم ذلك وصدقتهم تلك!

هنا رفع رسول الله يديه الشريفتين إلى السماء وصار يدعو لهم بالرزق الاخروي والدنيوي فنزلت فيهم سورة كاملة تروي قصة ايفاءهم بالنذر وتصدقهم على المسكين واليتيم والأسير لثلاث ليال متتالية ثم تصف مقامهم الرفيع عند رب العزة، كل ذلك في سورة الإنسان والتي تبدأ بقوله تعالى (هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ....).

ثم نزلت لهم مائدة من السماء فيها ما لذَّ وطاب من طعام الجنة.

تذكرت الزهراء كل هذا فصار قلبها يسألها بحرقة وحسرة :

هل فعلاً أن رسول الله لن يدخل علينا بعد يومنا هذا؟!

هل فعلاً أن القرآن انقطع منذ اليوم عن النزول؟!

هل فعلاً لن تسمعي بعد اليوم صوت أبيكِ وهو يقف عند باب بيتكِ وهو يردد : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة والرسالة؟!

(٢)

أبت الذكريات إلا أن تحط رحالها طويلًا عند سيدة النساء..
فتذكرت ايضًا يوم طرق بابها والدها الرسول ليخبرها أن عليها أن ترافقه هي وزوجها وأولادها لمباهلة نصارى نجران..
كان ذلك في العشرة الأخيرة من شهر ذي الحجة عندما طلب نصارى نجران من أبيها الرسول أن يثبت صحة دعوته وبأنه نبي الدين الجديد فعلاً وبأن دين النصارى واليهود لم يعد لهما حق في الوجود بعد مجيء الإسلام..
عندها نزلت الآية الكريمة (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبتَهِلْ فَنَجعَلْ لَعنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)
إنها دعوة لحلول غضب الله ونزول لعنته على الطرف الكاذب!
كانت فرحتها في وقتها لا توصف وهي ترى أن أباها اختارها هي وحدها لا غيرها لتُمثل كلمة (نساءنا) واختار زوجها لا غيره ليمثل كلمة (أنفسنا) واختار أولادها لا غيرهم ليمثلوا كلمة (أبناءنا) ..
إنه بذلك أراد أن يخبر الجميع بأن هؤلاء (وحدهم) أهل بيتي!
ولشدة صدقه ويقينه بربه ودينه فقد خرج بأهل بيته جميعًا في مباهلة خصمه ووقفة حلول اللعنة على الطرف الكاذب!
كانت وجوههم تشع نورًا وهم يسيرون خلف رسول الله، وما أن رآهم الخصم حتى نادى صوت الضمير فيهم: ويلكم أيضحي محمد بهؤلاء من أجل إحقاق دعوته الباطلة؟ لا والله لا أراه إلا صادقًا!

روى الطبرسي:
فلمّا طالت المناظرة والحّوا في عصيانهم وخصومتهم، أنزل اللّه تعالى:
(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِين)
فقالوا للنبي (صلّى اللّه عليه و آله) نباهلك غدًا وقال أبو حارثة لأصحابه: انظروا محمدا في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شيء، فذهب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) صباحًا الى بيت عليّ (عليه السّلام) فأخذ بيد الحسن والحسين وخرج من المدينة وبين يديه عليّ (عليه السّلام) وفاطمة (عليها السّلام) تتبعه فلمّا رأى ذلك رؤساء نجران قال أبو حارثة: من هؤلاء الذين معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه زوج ابنته يتقدمه، وهذان ابنا ابنته وهذه بنته أعزّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه.
وتقدم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) فجثا على ركبتيه ..
قال أبو حارثة: جثا واللّه كما جثا الأنبياء للمباهلة، فكع ولم يقدم على المباهلة، فقال له السيد: أين تذهب؟ قال: لا.. إنّي لأرى رجلاً جريئًا على المباهلة، وأنا أخاف أن يكون صادقًا فلا يحول واللّه علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء، وفي رواية أخرى انّه قال: انّي لأرى وجوهًا لو سألوا اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة!

(٣)

قطع عليها سلسلة الذكريات صوت عمر بن الخطاب وهو ينادي بأعلى صوته: إن الرسول لم يمُت!
ثم أخذ يهدد ويتوعد من يدَّعي ذلك، أصر عمر على موقفه والناس متجمهرة على باب بيت النبي حزينة القلب دامعة العين حتى جاء أبو بكر ..
انتهى موقف عمر بن الخطاب بحضور أبي بكر وقراءته للآية الكريمة (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيئًا وَسَيَجزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)
كان هناك صوت من وراء الحجب وكأنه صوت قلب الزهراء ساخرًا من كلام هذين الرجلين ويردد بكل ألم وحسرة : لا أراكما إلا أول المنقلبين!!!
عادت إليها سلسلة الذكريات القريبة فها هي تتذكر اتهامهم لرسول الله بالهذيان حين منعوه من كتابة وصيته قبل أيام!! وها هم الآن يدّعون أنه لم يمت ليوهموا الناس بحبهم الشديد وتعلقهم الكبير به!
نعم فلقد انتهى المشهد بمجيء من سيتولى الخلافة ليري الناس حكمته وسيطرته حتى على أشجع الرجال عمر بن الخطاب!
أخذ أبو بكر بيد عمر وخرجا من بين الجموع تاركين رسول الله بين أهله المفجوعين برحيله.
انشغل الإمام علي وبنو هاشم والموالون لهم في تجهيز النبي والاستعداد لمراسم دفنه بينما انشغل البقية بالاستعداد لسقيفة بني ساعدة!

اشتد الصراع في السقيفة بين الأنصار الذين لم يضعوا في حسابهم غير علي بن ابي طالب للخلافة بعد النبي كما كان الإعتقاد السائد بين عامة الناس لِما سمعوه من رسول الله عن علي في يوم غدير خم وبين شيوخ المهاجرين الذين رشحوا غيره للخلافة!

تم طرح الأسماء التي يجب أن تتولى الخلافة بعد رسول الله وكانت حجة المهاجرين أمام الأنصار أنهم أقرب الناس إلى رسول الله وأسبقهم إلى الإسلام!!

من بين تلك الأسماء كان هناك تجاهل واضح لاسم علي بن ابي طالب!!

ذلك الذي بايعه مائة ألف أو يزيدون في غدير خم قبل مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر!!

فإن كانوا هم السباقون في دخول الإسلام فعلي بن ابي طالب قد سبق الجميع إلى اعتناق الدين وباعترافهم!

وإن كان هناك ثمّة قرابة فليست أكثر من قرابة علي بن ابي طالب فهو ابن عمه نسبًا وأخاه وحده في الدين عندما آخى كل رجل رجلًا فلم يكن غير علي أخًا لرسول الله وباعترافهم أيضا!!

(٤)

لم تمضِ سوى أيام قلائل على رحيل خاتِم النبوة حتى وصل الخبر لابنته الزهراء بأن أبا بكر يرفض إبقاء ملكيتها لأرض فدك ..
جاءت هذه الخطوة لانتزاع القوة المالية من آل محمد باعتبارهم زعماء المعارضة!
وكانت أرض فدك نِحلة رسول الله لابنته فاطمة بعد أن نزل قوله تعالى (فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).
جاء في الدر المنثور للسيوطي عن أبي سعيد الخدري وجاء مثله في كشف الغمة ورواه الحاكم النيسابوري :
لما نزلت الآية (وآت ذا القربى حقه ..) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء وأعطاها فدكًا .
ويستدل على أن فدكًا كانت بيد آل الرسول من تصريح الإمام علي عليه السلام في كتابه الذي أرسله إلى عثمان بن حنيف كما ورد في نهج البلاغة:
(بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونِعم الحكم الله...).
وفي (الصواعق المحرقة) أنه عندما استقر الأمر لأبي بكر انتزع فدكًا من فاطمة.
وجاء عن عائشة " أن فاطِمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله وهي حين تطلب ما كان لرسول الله بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال لها أبو بكر: إن رسول الله قال : لا نورث، ما تركناه صدقة! فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا ".

بعد أن فشلت كل المحاولات في إقناع أبي بكر بأن الأرض ملك لفاطمة وبعد أن أرسلت الزهراء من يُفهِم أبا بكر ويوضح أحقيتها في أرض فدك فلم يُفلح قررت أن تذهب إليه بنفسها لتفضح موقفه أمام الملأ وفي مسجد أبيها رسول الله وسط جموع المسلمين من المهاجرين والأنصار..

نعم ليس من السهولة أن تخرج بنت الرسالة ويرى طولها هذا وذاك وهي التي سترت نفسها بل حتى ظلها عن الرجال!!

لكن أحبائها الفقراء والمساكين والأيتام يحتاجون منها تلك الوقفة في مسجد والدها الرسول، نعم ستخرج وسيسمع صوتها الجميع لأجل نصرة المحتاجين ولأجل إحقاق الحق والوقوف مع إمام زمانها متخذةً من فدك حجةً قوية لتتحدث بكل شيء!

نعم هي ستخرج وتتكلم وتطالب بفدك لأن فدكًا ليست مجرد قطعة أرض!!

إنها حق علي من الخلافة، إنها حق الزهراء مما أهداه لها والدها..

إنها مرتع للجائعين من فقراء المسلمين وهي جنتهم في الأرض يأخذون منها حيث يشاؤون، هكذا قالت لهم الزهراء!

أما الآن وبعد أن منعها تلك الأرض من نصَّب نفسه خليفة بعد أبيها الرسول فصار لزامًا ولأجل كل أولئك الجياع أن تطالب بحقوقهم وحق بعلها علي بن ابي طالب عليه السلام.

(٥)

وقبل أن تذهب الزهراء لمسجد والدها اتجه زوجها علي بن أبي طالب ليحاججهم في حقها فليس من الهين عليه أن تقف زوجته الشابة الجليلة وسط حشود الرجال وأمام هذا وذاك ليسمعوا صوتها المقدس وينصتوا لأنينها وزفراتها المتوجعة! نعم لم يصمت عليًّا عن كل هذا الظلم فلقد سلبوا منه الخلافة وها هم يسلبون من زوجته ارضًا هي في الحقيقة جنة الفقراء والمساكين والأيتام..

جاء في الاحتجاج للطبرسي وكشف الغمة وشرح النهج لأبي الحديد : أن عليًا جاء إلى أبي بكر وهو في المسجد فقال: «يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول اللَّه وقد ملكته في حياة رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله)؟ فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهودًا أنّ رسول اللَّه جعله لها، و إلّا فلا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أبا بكر أتحكم فينا بخلاف حكم اللَّه في المسلمين؟» قال: لا، قال عليه السلام: «فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادّعيت أنا فيه، من تسأل البينة؟» قال: إيّاك أسأل البينة، قال عليه السلام: «فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادّعوا شهودًا كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟»

سكت أبو بكر فقال عمر: يا علي، دعنا من كلامك، فإنا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، و إلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه.

فقال علي عليه السلام: «يا أبا بكر تقرأ كتاب اللَّه؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «أخبرني عن قوله عز وجل: (إنما يريد اللَّه ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا) فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم، قال عليه السلام: «فلو أن شهودًا شهدوا على فاطمة بنت رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) بفاحشة ما كنت تصنع بها؟»، قال: كنت أُقيم عليها الحد كما أُقيم على نساء العالمين! قال علي عليه السلام: «كنت إذن عند اللَّه من الكافرين»، قال: ولِمَ؟ قال عليه السلام: «لأنّك رددت شهادة اللَّه بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم اللَّه وحكم رسوله أن جعل لها فدكًا وزعمت أنّها فيء للمسلمين، وقد قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله: البيّنة على من إدعى واليمين على من أنكر» فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضًا، وقالوا: صدق واللَّه عليّ.

(٦)

قررت الزهراء الإعلان عن مظلوميتها بالذهاب إلى المسجد وإلقاء خطاب مهم في الناس بعد أن رفضوا الأخذ بشهادة زوجها علي عليه السلام وشهادة أكثر نساء النبي صدقًا وكذلك شهادة أشد أصحابه عدولا!

سرى الخبر في المدينة أن بضعة النبي وريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله..

هزَّ الخبر أرجاء المدينة واحتشد الناس في المسجد ليسمعوا هذا الخطاب المهم!

يروي لنا عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام صورةً من هذا الخطاب قائلاً :

إنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة فدكًا وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها وتطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

فنطيت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنَّت أنَّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت صلوات الله عليها:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نِعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن

الإحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، وأستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها.. إلى أن قالت سلام الله عليها:

أيها الناس: أعلموا أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله، أقول عودًا وبدءا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا، (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم...

وبعد أن تنتهي الزهراء من وصف أبيها الرسول توبخهم بالقول :

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم، فألقاكم لدعوته مستجيبين وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافًا وأحمشكم فألقاكم غضابًا، فوسمتم غير إبلكم وأوردتم غير شربكم.

هذا، والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.

فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة وزواجره لايحة وأوامره واضحة وقد خلفتموه وراء ظهوركم! أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ "بئس للظالمين بدلا"، "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين".

وبعد الإكثار من التوبيخ لهم تبدأ الزهراء بالغوص في خضم المشكلة التي افتعلها أبي بكر وعمر فتقرعهم بالقول:

وأنتم الآن تزعمون: أن لا أرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون! ومن أحسن من الله حكمًا لقومٍ يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته! أيها المسلمون أأغلب على إرثه؟!

يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريا؟ أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول:

(وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: رب (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال: (أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال: (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي صلى الله عليه وآله أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك.

فنعم الحكم الله والزعيم محمد " صلى الله عليه وآله " والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.
ثم رمت سلام الله عليها بطرفها نحو الأنصار فقالت:
يا معشر الفتية وأعضاد الملة وأنصار الإسلام ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي؟! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: " المرء يحفظ في ولده " سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول.

وساقت سلام الله عليها الخطبة الشريفة إلى قولها:
ألا وقد قلت ما قلت على علمٍ مني بالجذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القناة وبثة الصدر وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.
وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون.

(٧)

فأجابها أبو بكر فقال: يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيما، وعلى الكافرين عذابا أليما وعقابا عظيما، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء وأخا لبعلك دون الأخلاء، آثره على كل حميم وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد ولا يبغضكم إلا كل شقي، فأنتم عترة رسول الله، الطيبون والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا وإلى الجنة مسالكنا وأنت يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك ولا مصدودة عن صدقك.

والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت إلا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله!! وإني أشهد الله وكفى به شهيدا، إني سمعت رسول الله يقول: " نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه" وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل به المسلمون ويجاهدون الكفار ويجالدون المردة الفجار وذلك بإجماع من المسلمين!! لم أنفرد به وحدي ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي وهذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك!!! لا تزوى عنك ولا تدَّخر دونك وأنت سيدة أمة أبيك والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع ما لكِ من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت بيداي!!! فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك صلى الله عليه وآله.

فقالت عليها السلام: سبحان الله ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا بل كان يتبع أثره ويقفوا

سوره أفتجمعون إلى العذر [الغدر] إعتلالا عليه بالزور وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا وناطقا فصلا يقول:
(يرثني ويرث من آل يعقوب) ، ويقول: (وورث سليمان داود) فبين عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علة المبطلين وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.
فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة وركن الدين وعين الحجة، لا أبعد صوابك ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر وهم بذلك شهود.
فالتفتت فاطمة صلوات الله عليها [إلى الناس] وقالت:
معاشر الناس المسرعة إلى قيلِ الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنالك المبطلون.
بعد انتهاءنا من نقل اهم ما جاء في الخطبة الفدكية لنقف الآن عند كلام أبي بكر وهو يدعي أن قراره في منع إرث فاطة حسب حديث رسول الله (نحن معاشر الأنبياء لا نورث...) جاء بإجماع من المسلمين!

يقول إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : إنه لم يروِ حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده!

وعن السيوطي وأبو بكر الشافعي وابن عساكر (وكلهم من علماء أهل السنة والجماعة) عن عائشة قالت:

(اختلفوا في ميراثه "صلى الله عليه وآله" فما وجدوا عند أحد من ذلك عِلما، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نوَّرِث، ما تركناه صدقة).

وبهذا وباعتراف زوجة الرسول وابنة الخليفة نفسه وبنقل حديثها من اكبر علمائهم يتضح لنا بأن قرار منع الزهراء عليها السلام من ارثها كان قرارًا شخصيًا انفراديًا ولم يكن بإجماع من المسلمين أبدا!!

(٨)

خرجت الزهراء من المسجد النبوي ودموعها تجري انهارًا بسبب كل ما أجبرها الزمان على تحمله وقبل أن تعود لبيتها عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ورمت بنفسها على تلك البقعة الطاهرة وهي تبكي وتقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ..لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها.. واختل قومك فاشهدهم ولا تغِبُ
وكل أهل له قربى ومنزلة .. عند الإله على الأدنين مقتربُ
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم.. لما مضيت وحالت دونك التربُ
تجهمتنا رجال واستخف بنا .. لما فقدت وكل الأرض مغتصبُ
وكنت بدرًا ونورًا يستضاء به ..عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا.. فقد فُقِدتَ وكل الخير محتجبُ
فليت قبلك كان الموت صادفنا .. لما مضيت وحالت دونك الكتبُ .

(٩)
وما كادت الزهراء عليها السلام تخرج من مسجد أبيها الرسول إلى حيث قبره الشريف حتى تبدل خطاب أبي بكر بشكل عجيب!!
فقبل قليل كان يخبرها بأن والدها وبعلها من أفضل الرجال وهي من أفضل النساء وبأنهم بعثوا رحمة للعالمين، وما هي إلا لحظات حتى صار يصف بعلها بالثعلب الماكر وبأنها ذيله!!
حاشاها مولاتنا الزهراء عليها السلام وحاشا بعلها علي بن ابي طالب عليه السلام من كل هذه النعوت والالفاظ النابية لكن هذا ما حدث بشهادة مصادر أهل السنة والجماعة وهذا ما نطق به من نصب نفسه خليفة للناس!!
روى ابن أبي الحديد في سياق أخبار فدك، عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، إن أبا بكر لما سمع خطبة فاطمة عليها السلام في فدك شق عليه مقالتها فصعد المنبر فقال:
أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله؟ ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة (ثعلب) شهيده ذنبه (ذيله) مرب لكل فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت تستعينون بالضعفة وتستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت إلا إني ساكت ما تركت.
يقول ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب يحيى بن أبي زيد البصري فقلت له: بمن يُعرِّض؟ فقال: بل يُصرِّح، قلت: لو صرَّح لم أسألك! فضحك وقال: بِعلي بن أبي طالب.
قلت: أهذا الكلام كله لعلي بن ابي طالب يقوله؟!
قال: نعم إنه المُلك يا بني.

(١٠)

مضت الأيام مسرعة وعلي حبيس داره يأنّ على فراق رسول الله أخيه وابن عمه وجد أولاده..
كان عليه أن يجمع كتاب الله منذ نزوله على النبي أول الوحي حتى آخر لحظات رسول الله قبل أن ينقطع عنه صوت الوحي.. فهذه مسؤوليته وحده لا غيره!
فجأة حدثت جلبة خارج المنزل، سمعت الزهراء صوتًا كانت قد سمعته يوم رحيل والدها وهو ينادي: محمد لم يمت! إنه نفس ذلك الصوت عاد الآن ليهدد ويعربد محذرًا بإحراق الدار إن لم يخرج عليًّا للمبايعة!!
سمعت من يخبره: إن في الدار لفاطمة..
فإذا بصوته صارخًا: وإن!!
هنا علمت الزهراء بأن الهجوم على دارها صار حتميًا فركضت لتحتمي خلف الباب طلبًا للستر والحجاب، ولتكون قريبة على أسماع الأعداء فتلقي آخر حجة لها عليهم فقالت لعمر:
(ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله ورسوله؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله؟ والله متم نوره).
فركل عمر الباب برجله وهي ما زالت سلام الله عليها خلف الباب ليدخل القوم دارها مما سبب عصرها وتهشم أضلاعها وليلفظ جنينها (المحسن) أنفاسه الأخيرة وهو بين احشائها! سمعت صوت اضلاعها تتكسر وهي تأن من الألم وتتلوى..
سقطت ارضًا وهي تنادي خادمتها فضة ولسان حالها يقول:
ألا يا فضة ادركيني، فقد والله أسقطوا جنيني!!

إنه قمة الدفاع عن إمام الزمان!
أن ترى إمام زمانك وحيدًا محاصرًا فتكون اضلاعك وفلذات كبدك (أولادك) جنودًا تحول بينه وبين اعدائه..
كما إنه قمة العفاف والحياء أن تخسر المرأة أهم ما تملك - صحتها وولدها فلذة كبدها- لأجل أن تستر نفسها عن أعين الرجال!
ورغم ما بها من آلام فإن فكرها وبالها كله عند حجابها وعند إمام زمانها ..
وهنا نورد قصة إسقاط الجنين من مصادر أهل السنة والجماعة:
1. قال صلاح الدين الصفدي الشافعي المتوفى 764 في ترجمة النظام في ذكر أقواله:
وقال: (إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها).
الوافي بالوفيات: ج5، ص347
2. قال ابن أبي دارم المتوفى سنة 352 :
(إن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن).
ميزان الاعتدال 1/139
3. قال إبراهيم ابن سيار النظام المتوفى سنة 231 :
(إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها ، وكان يصيح عمر :
احرقوا دارها بمن فيها ، وما كان بالدار غير علي و فاطمة والحسن والحسين).
الملل والنحل 1/59 ، الوافي بالوفيات 6/17
4. عن ابن قتيبة :
(إن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي).

المعارف لابن قتيبه كما عنه ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب 3/358 .
علماً بان المعارف المطبوع قد حذف منه هذا المطلب!
5. عن شيخ ابن ابي الحديد :
(لما القت زينب ما في بطنها أهدر رسول الله دم هبار ، لأنه روّع زينب فألقت ما في بطنها، فكان لابد أنه لو حضر ترويع القوم فاطمة الزهراء وإسقاط ما في بطنها لحكم باهدار دم من فعل ذلك ...
فقال له ابن أبي الحديد : أروي عنك ما يرويه بعض الناس من أن فاطمة روعت فألقت محسناً ؟
فقال : لا تروه عني ولا تروو عني بطلانه).
* شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
6.(إن أبا بكر بعد أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والقوة أرسل عمر وقنفذاً وجماعة إلى دار علي وفاطمة عليهما السلام , وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق الدار.
ولما جاءت فاطمة خلف الباب لترد عمر وأصحابه عصر عمر فاطمة خلف الباب حتى أسقطت جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها، وسقطت مريضة حتى ماتت عليها السلام).
الخلافة والإمامة لمقاتل بن عطية، ص505، ط بيروت بمقدمة الدكتور حامد حفنى داود.
7. قال المؤرخ الكبير المسعودي:
(فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فوجهوا إلى منزله، فهجموا عليه، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيدة النساء

بالباب حتى أسقطت محسناً وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال: لا أفعل، فقالوا: نقتلك، فقال: إن تقتلوني فإني عبد الله وأخو رسوله).
إثبات الوصية: ص 123

(١١)

الهجوم على الدار والتهديد بالاحراق
(برواية أهل السنة والجماعة)

* ورد في الإمامة والسياسة لابن قتيبة : إن أبا بكر تفقد قومًا تخلفوا عن بيعته عند علي ، فبعث اليهم عمر بن الخطاب، فجاء فناداهم وهم في دار علي وأبوا أن يخرجوا، فدعا عمر بالحطب، فقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها عليكم على ما فيها، فقيل له : يا أبا حفص إن فيها فاطمة، فقال : وإن!
فخرجوا وبايعوا إلا عليًا قال : حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي عن عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة على بابها، فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم جنازة رسول الله بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تروا لنا حقا، فأتى عمر أبا بكر، فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر : يا قنفذ وهو مولى له : اذهب فادع عليا.
قال : فذهب قنفذ إلى علي، فقال : ما حاجتك، قال : يدعوك خليفة رسول الله، قال علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله!! فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، قال : فبكى أبو بكر طويلا!
فقال عمر ثانيةً : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ : عد إليه فقل أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فنادى ما أمر به، فرفع علي صوته، فقال : سبحان الله لقد إدعى ما ليس له!!

فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، قال : فبكى أبو بكر طويلا، ثم قام عمر فمشى ومعه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها باكية :
(يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة)
فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، فكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر معه قوم، فأخرجوا عليًا فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن لم أفعل فمه؟ قالوا : إذًا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، قال : إذًا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر : أما عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال عمر : ألا تأمر فيه بأمرك، فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني).

* عن الطبري بسنده:« أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين , فقال:والله لأحرّقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة ... »[تاريخ الطبري 3/202 , وقريب منه ابن ابي شيبه من مشايخ البخاري في المصنف 7/432] .

* عن البلاذري بسنده:« إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة , فلم يبايع , فجاء عمر ومعه فتيلة , فتلقته فاطمة على الباب , فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أتراك محرّقاً عليّ بابي؟! قال: نعم ...»[أنساب الأشراف 1/ 586 , وقريب منه ابن عبد ربه في العقد الفريد 5/13 وأبو الفداء في المختصر في أخبار البشر 1/156] .

* عن عروة بن الزبير:« أنه كان يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم , قال عروة في مقام العذر

والاعتذار لأخيه عبد الله بن الزبير: بأن عمر أحضر الحطب ليحرق الدار على من تخلّف عن البيعة لأبي بكر» . [مروج الذهب 3/86 , شرح ابن أبي الحديد 20/147] .

* عن الثقفي عن جعفر بن محمد الصادق: « والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته » .

رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب أخبار السقيفة , وعنه في الشافي في الإمامة .

*عن أبي بكر أنه قال قبيل وفاته: إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أني تركتهن ... وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ...»

[تاريخ الطبري 3/430 , العقد الفريد 2/254 , كتاب الأموال لابن سلام , مروج الذهب , الإمامة والسياسة] .

(١٢)

مظلومية السيدة الزهراء عليها السلام
(برواية الشيخ المفيد)

بعد أن كانت مظلومية الزهراء عليها السلام وشهادتها من المسلمات عند الشيعة صار هناك اليوم من يروج إلى أن الشيخ المفيد لم يؤكد مظلومية الزهراء بخصوص حرق الدار وكسر الضلع وإسقاط الجنين!!

في حين إن كتب الشيخ المفيد تشهد على مظلومية الزهراء عليها السلام حالها حال باقي كتب علماء المذهب الشيعي مع أنه عاش في عصر كثرت فيه الفتن والطائفيات، وكان هو رأس التشيع في العالم، ومثله يحاول مراعاة الظروف التي تحيطه، ولكننا مع ذلك نجد أنه يصدحَ بمظلوميتها سلام الله عليها في عدةٍ من كتبه ومؤلفاته .

نجد في كتبه أمثال (الإختصاص والأمالي والجمل والمقنعة) عدة روايات وتصريحات بمظلومية الزهراء وشهادتها وقتلها واسقاط المحسن وضربها ولطم خدها وتناثر قرطها، والهجوم على الدار والتهديد بحرق الدار وغيرها..

حيث روى بسنده عن مروان بن عثمان قال : لما بايع الناس أبا بكر دخل علي عليه السلام والزبير والمقداد بيت فاطمة عليها السلام، وأبوا أن يخرجوا، فقال عمر بن الخطاب : اضرموا عليهم البيت نارا ... (الأمالي للمفيد ص49) .

وقال أيضاً : ولما اجتمع من اجتمع في دار فاطمة من بني هاشم وغيرهم للتحيز عن أبي بكر وإظهار الخلاف أنفذ عمر بن الخطاب

قنفذا وقال له اخرج من في البيت فإن خرجوا وإلا فاجمع الأحطاب على بابه واعلمهم أنهم إن لم يخرجوا للبيعة أضرمت البيت عليهم نارا .
ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغير بن شعبة الثقفي وسالم مولى حذيفة حتى صاروا إلى باب علي فنادى يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أخرجي من اعتصم ببيتك ليبايع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا والله أضرمت عليهم نارا في حديث مشهور .
(الجمل للمفيد ص57) .
روى بسنده عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ..... قال : فدعا بكتاب فكتبه لها برد فدك ، فقال : فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال : يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك، فقالت : كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك، فقال : هلميه إلي، فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله وكانت حاملة بابن اسمه المحسن فأسقطت المحسن من بطنها ثم لطمها فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت ثم أخذ الكتاب فخرقه فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوما مريضة مما ضربها عمر، ثم قبضت .
(الإختصاص للمفيد ص185) .
وروى بسنده عن عبد الله بن بكر الأرجاني عن الإمام الصادق عليه السلام : ... وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام وقاتل فاطمة عليها السلام وقاتل المحسن وقاتل الحسن والحسين عليهم السلام .
(الإختصاص ص344) .
فالشيخ المفيد يعتقد بأنّ القوم هجموا على دار الزهراء وهددوها بإحراق الدار، وضربوا الزهراء ورفسها الرجل وأسقط جنينها، وأنّ الزهراء خرجت من الدنيا مقتولة هي وابنها المحسن، ويؤيده أيضًا:

ما ذكره في كتابه المقنعة هذه الزيارة : السلام عليك يا رسول الله، السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة . السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ، السلام عليك أيتها البتول الشهيدة الطاهرة، لعن الله من ظلمك، ومنعك حقك، ودفعك عن إرثك، ولعن الله من كذبك، وأعنتك، وغصصك بريقك، وأدخل الذل بيتك . (المقنعة للمفيد ص459) .
حيث هنا يصرّح أنها خرجت من الدنيا شهيدة مظلومة ممنوعة حقها مدفوعة إرثها مقهورة، قام القوم بتكذيبها وأدخلوا الذل بيتها!
وقوله : (وأدخل الذلّ بيتك) إشارة الى الحديث الذي يرويه الصدوق في كتابه الامالي بسنده الى عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
(وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي : يا محمداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية .... فيلحقها الله عز وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم علي محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك : اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وأذل من أذلها، وخلد في نارك من ضرب جنبها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك : آمين) .

(١٣)

ونقل الشيخ الطوسي - وهو تلميذ الشيخ المفيد - أنّه لا خلاف بين الشيعة أنّ عمر ضرب الزهراء على بطنها حتى اسقطت المحسن ، فلو كان شيخه المفيد مخالفاً لم يصح منه دعوى الإجماع!

قال الشيخ الطوسي : ومما أنكر عليه : ضربهم لفاطمة عليها السلام، وقد روي : أنهم ضربوها بالسياط، والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة : أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمي السقط محسنا، والرواية بذلك مشهورة عندهم، وما أرادوا من احراق البيت عليها - حين التجأ إليها قوم ، وامتنعوا من بيعته - وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأنّا قد بينا الرواية الواردة من جهة العامة من طريق البلاذري وغيره، ورواية الشيعة مستفيضة به، لا يختلفون في ذلك . (تلخيص الشافي للشيخ الطوسي : ٣ / ١٥٦) .

فهنا ينقل الشيخ الطوسي أمران مشهوران عند الشيعة مجمع عليه بينهم :

الأول : ضرب عمر بن الخطاب فاطمة حتى اسقطت المحسن .

الثاني : إرادتهم حرق دار فاطمة وعلي عليهما السلام .

نكرر السؤال: فلو كان شيخه المفيد مخالفًا فكيف يصحّ منه أن يدعي الإجماع؟!

بل نقول أكثر من هذا : إنّ الشيخ المفيد وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، يقيم مجالس العزاء على الزهراء، ويبكي عليها وعلى ولدها المحسن السقط، كما نسب إليه ذلك أحد كبار المعتزلة وهو القاضي عبد الجبار الهمذاني وهو من المعاصرين للشيخ المفيد، قال في كتابه تثبيت دلائل النبوة :

وفي هذا الزمان منهم ... " ويعدد مجموعة من الرجال المعروفين إلى أن يصل الى الشيخ المفيد فيذكره بالاسم بقوله : وأبي عبد اللّه محمد بن النعمان فهؤلاء بمصر وبالرملة وبصور ، وبعكا وبعسقلان وبدمشق وببغداد وبجبل البسماق . وكل هؤلاء بهذه النواحي يدّعون التشيع ومحبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم وأهل بيته، فيبكون على فاطمة وعلى ابنها المحسن الذي زعموا أن عمر قتله، ويذكرون لهم تبديل القرآن والفرائض، ويذكرون ما قد تقدم ذكره من أن خلافهم له وقتالهم إنما هو لعداوته صلّى اللّه عليه وسلم وللشك في نبوته ، ويقيمون المنشدين والمناحات في ذلك . (تثبيت دلائل النبوة، ج ٢، القاضي عبد الجبار الهمذاني، ص ٢٨٨ – 289) .

ولم ينقل أحد من الشيعة فيما مضى أنّ الشيخ المفيد أنكر مفردة من مفردات مظلومية الزهراء عليها السلام، ولا نسب ذلك له أحد من علماء أبناء العامة، ولو كان لبانَ الأمر وظهر، فالشيخ المفيد ليس مجهولاً، ومؤلفاته منتشرة .

نعم لم نجد في مؤلفات الشيخ المفيد التي وصلتنا ذكرًا لمسألة كسر الضلع، ولكن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، فلعله نقلها في بعض كتبه التي لم تصلنا، هذا أولاً .

وثانيًا: عدم الذكر لا يدل على عدم الاعتقاد، فلعله يعتقد بها، ولكن لحساسية القضية لم يذكر روايتها، لما للشيخ المفيد من مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي .

ثالثًا : قلنا سابقًا أنه قد أشار تلويحًا إلى رواية كسر الضلع التي رواها الصدوق عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله، فراجع عند نقلنا زيارة الزهراء عن كتاب المقنعة .

(١٤)

غضب فاطمة على أبي بكر!!

* أخرج البخاري ومسلم عن عائشة: « إن فاطمة بنت النبي أرسلت إلى أبي بكر ... فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته، فلم تكلّمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر ...»
[صحيح البخاري: باب غزوة خيبر، صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير] .
وفي نفس الوقت نقرأ في البخاري وباقي صحاح أهل السنة والجماعة عن عاقبة من تغضب عليه فاطمة :
* أخرج البخاري عن النبي أنه قال: « فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني» [صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق] .
* عن النبي أنه قال:« فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها » [البخاري وأحمد و أبو داود ومسلم]
* قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):
« إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها »
"إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها"
"فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها"
[صحيح مسلم: باب مناقب فاطمة، مسند أحمد 4/5 ، المستدرك 3/323 وقال : صحيح على شرط الشيخين]

* عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) « إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها » . [المستدرك، الإصابة، كنز العمال عن: ابي يعلى والطبراني وأبي نعيم] .

ولما أثبتت لنا صحاح أهل السنة والجماعة وبرواية عائشة بأن فاطمة بنت رسول الله قد غضبت على أبي بكر، ولما أثبتت لنا نفس الصحاح بأن رسول الله يغضب لغضب فاطمة ويتأذى لأذاها بل وأثبتت بأن الله يغضب لغضب فاطمة!

وعند الجمع بين هذين الاثباتين وبين الآية الكريمة :

« إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا » [سورة الأحزاب:57] .

نخرج بنتيجة مفادها بأن أبا بكر من الذين لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد له عذابًا مهينا...

وبعد كل هذه الأدلة فالعجب كل العجب مِن الذين ينصبون أنفسهم مراجع للمسلمين ويخالفون قرآن المسلمين فيدعون الناس إلى وجوب الترضّي على من لعنه الله في محكم كتابه الكريم!!

(١٥)

مقاطعة الزهراء لعمر وأبي بكر...

لم يكن غضب فاطمة على أبي بكر فقط بل قد أعلنت غضبها على عمر بن الخطاب أيضا ومقاطعتها لهما معًا، وبهذا فما أثبتناه على أبي بكر فيما سبق يشمل عمر أيضا ولا فرق بينهما!!
إلا أننا افردنا الكلام في البداية عن أبي بكر لورود رواية كاملة تدينه على لسان ابنته (عائشة) في أكبر مصدر لدى أهل السنة والجماعة وهو البخاري!!
والآن نورد من الأحاديث ما جمعت الرجلين معًا في قضية مقاطعة الزهراء عليها السلام لهما حتى رحيلها عن هذه الدنيا:
اتّفقت رواياتهم على أنّ موقف فاطمة عليها السلام في إدانة السقيفة واتّهام أبي بكر وعمر ، كان أشدَّ من مواقف الجميع حتّى أمير المؤمنين عليه السلام!
وروت مصادرنا ، ومصادرهم كابن قتيبة ، أنّها عليها السلام أدانتهما بالقول والفعل ، وعندما طلب أبو بكر المجيء إلى بيتها للإعتذار منها لهجومهم على بيتها ، لم تقبل دخولهما بيتها ، فتوسط لهما علي عليه السلام ودخلا فلم تردَّ عليهما السلام وأدارت وجهها إلى الحائط ، وناشدتهما وهي غاضبة ، ما سمعا من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في من أغضبها فشهدا بذلك ، فأعلنت غضبها عليهما ومقاطعتها لهما ، وأنّها ستشكوهما إلى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وتدعو عليهما بعد كلّ صلاة!

في كتاب سُليم ص ٣٩١ : « فدخلا وسلَّما وقالا : إرضي عنّا رضي الله عنك. فقالت : ما دعاكما إلى هذا ؟ فقالا : اعترفنا بالإساءة ، ورجونا أن تعفي عنّا وتخرجي سخيمتك. فقالت : فإن كنتما صادقين فأخبراني عمّا أسألكما عنه فإنّي لا أسألكما عن أمر إلّا وأنا عارفة بأنّكما تعلمانه ، فإن صدقتما علمت أنّكما صادقان في مجيئكما. قالا : سلي عمّا بدا لك. قالت : نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ؟ قالا : نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم إنّهما قد آذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتّى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما ! قال : فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعاً شديداً.
فقال عمر : تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة! ».
وفي رواية علل الشرائع : ١ / ١٨٧ : « قالا نعم. قالت : الحمد لله ، ثمّ قالت : اللهم إنّي أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنّهما قد آذياني في حياتي وعند موتي ! والله لا أكلّمكما من رأسي كلمة حتّى ألقى ربّي فأشكوكما بما صنعتما بي وارتكبتما منّي ! فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال : ليت أمّي لم تلدني ! فقال عمر : عجباً للناس كيف ولوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت ! تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها وما لمن أغضب إمرأة ! وقاما وخرجا » !
وفي الغدير : ٧ / ٢٢٨ ، عن الإمامة والسياسة : ١ / ١٤ ، وأعلام النساء للجاحظ : ٣ / ١٢١٤ : « قالت : فإنّي أشهد الله وملائكته إنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ! ثمّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق ، وهي تقول : والله

لأدعونّ عليك في كلّ صلاة أصلّيها. ثمّ خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كلّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي ... ». انتهى.

(١٦)

وشهد شاهد من أهلها...

أقوى ما في قضية الزهراء عليها السلام ومظلوميتها هي وبعلها علي عليه السلام أن المخالفين يعترفون بما فعلوه بهم بل ويفتخر أتباعهم بذلك!!

فهذا الشاعر حافظ إبراهيم في مدح عمر بن الخطاب في قصيدته العمرية المشهورة يقول :

وقولـة لعلـي قالـهـا عـمر
أكرم بسامعها أعظم بملقيـها
حرَّقتُ دارك لا أبقي عليك بها
إن لم تبايع، وبنت المصطفى فيها!
ما كان غير أبا حفصٍ يفوه بها
أمام فارس عدنـان وحاميـها!!

وهنا يعترف حافظ إبراهيم بأن ما وصلهم من أخبار في قضية إجبار علي على المبايعة هي نفسها ما وصلت للشيعة من أخبار في كتبهم!!

بل ويعترف بقضية التهديد في حرق الدار، وبأن عمر لما اخبروه أن في الدار لفاطمة قال: وإن!!

يخبرنا حافظ بعدها بأنه ليس غير أبي حفص(عمر) له الجرأة والشجاعة على قول هذه الكلمة وأمام من؟ أمام (علي) فارس قبيلة عدنان وحاميها!!

إنه والله أراد أن يمدح عمر فذمَّه من حيث لا يعلم!

فأي جرأة وأي شجاعة هذه التي تدعو صاحبها إلى حرق دار بنت رسول الله التي قال عنها (فاطمة بضعة مني، يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها)؟

فإن كانت تلك هي الشجاعة عند خليفة المسلمين والمؤتمن على دين الله ورسوله فلنقرأ على الدين بل وعلى الإنسانية وعلى الرحمة السلام!!

لكن هيهات لهم أن يطفئوا نور الله..

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)

(١٧)

لقاء الزهراء بنساء المهاجرين والأنصار

جاء في احتجاج الطبرسي مرسلاً عن سويد بن غفلة، وفي معاني الأخبار وشرح النهج لابن أبي الحديد بالإسناد عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين (عليها السلام)، وفي أمالي الشيخ بسنده عن ابن عباس، وفي كشف الغمة عن صاحب كتاب السقيفة أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن رجاله عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين أنها لما مرضت فاطمة الزهراء (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها واشتدت علتها اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنها فسلمن عليها وقلن لها كيف أصبحت من علتك من ليلتك يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحمدت الله تعالى وصلت على أبيها ثم قالت :

أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكن لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنأتهم بعد أن سبرتهم فقبحًا لفلول الحد واللعب بعد الجد وقرع الصفاة وصدع القناة وخطل الآراء وزلل الأهواء ولبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

لا جرم والله لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم أوقتها وشننت عليهم غارتها فجدعًا وعقرًا وبعدًا للقوم الظالمين ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين.

وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا منه والله نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله عز وجل وتالله

لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم إليها وحملهم عليها وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاعتلقه ولسار بهم سجحًا لا يكلم خشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه ولا وردهم منهلًا نميرًا صافيًا رويًّا فضفاضًا تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولا صدرهم بطانًا ونصح لهم سرًّا وإعلانًا ولم يكن يتحلى من الغنى بطائل ولا يحظى من الدنيا بنائل غير ري الناهل وشبعة الكافل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب.

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ}

ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبًا وإن تعجب فعجب قولهم ليت شعري إلى أي لجأ لجأوا وإلى أي سناد استندوا وعلى أي عماد اعتمدوا وبأي عروة تمسكوا وعلى أي ذرية قدموا واحتنكوا لبئس المولى ولبئس العشير وبئس للظالمين بدلًا استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)

ويحهم (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء العقب دمًا عبيطًا وذعافًا واطمئنوا للفتنة جأشًا وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيدًا وجمعكم حصيدًا فيا حسرة لكم وإني بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها على رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره!

فقالت (عليها السلام) إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ولا أمر بعد تقصيركم .

(١٨)

آذتهم ببكاءها!!

اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يهنأ بالنوم في الليل على فُرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً.
فقال عليّ (عليه السلام): حبّاً وكرامة!!
فأقبل الإمام عليّ حتى دخل على فاطمة الزهراء وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فلما رأته سكنت هنيئة فقال لها: يا بنت رسول الله إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما أن تبكي أباك ليلاً وإمّا نهاراً.
فقالت: يا أبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم! وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو أُلحق بأبي رسول الله (صلى الله عليه وآله).
فقال عليّ: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لكِ.
ألا يحق لنا أن نتساءل الآن وبعد أن نقلنا هذه الرواية عن بحار الأنوار :
هل بكاء امرأة جالسة في بيتها يسلب الراحة هكذا من رجال لا يرونها ولا يسمعوا صوتها فهم لا يعيشون معها أصلاً؟! أم هل يأتي أحد فيقنعني بأن صوت الزهراء كان يُسمع خارج دارها؟!
فأنا لا أرى استهجانهم هذا وتهكمهم إلا لأن بكاءها كان على مستوى المجالس التي تنصب ليل نهار في بيتها لإثبات مظلوميتها سلام الله

عليها، وبحضور نساء المدينة وفتياتها اللواتي صرن ينقلن ما تفعله الزهراء وتخطبه في تلك المجالس..
نعم فليس هناك تفسير منطقي لآذاهم من بكائها غير هذا!
وبذلك تكون الزهراء عليها السلام هي المؤسسة لمجالس العزاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وإظهار مظلومية أهل بيته الكرام.
بنى لها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بيتًا نازحًا عن المدينة سُمّي (بيت الأحزان)، وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها بين يديه إلى منزلها.
كل هذا فقط ليهنأ أُولئك المنزعجون من بكاء فاطمة!! أو بالأحرى المنزعجون من مجالس فاطمة، ولترتاح ضمائرهم، ولينامو على فُرشهم ليلاً نومة عميقة هنيئة بدون أن يشعروا بالأذى من بكاء فلذة كبد الرسول.
ونرى - هنا - الشعراء يشيرون إلى هذه المأساة التي يظهر فيها الجفاء بأسوأ منظر، يقول أحدهم:
منعوا البـــــتول عـــــن النياحة إذ
غدت تبـــــــكي أباها ليلها ونهارها
قالوا لها: قَـــــــرّي فـــــقد آذيتنا
أنّــى؟ وقد ســــــلب المصاب قرارها
ويقول الآخر:
والقائلين لفاطم: آذيتنا..
في طول نَوحٍ دائمٍ وحنين.

(١٩)

وصيتها لزوجها أثناء مرضها

روى الشيخ المفيد بسنده عن علي بن محمد الهرمزاني، عن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه الحسين عليهم السلام قال :
(لما مرضت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وعليها السلام وصت إلى علي صلوات الله عليه أن يكتم أمرها، ويخفي خبرها، ولا يؤذن أحدا بمرضها، ففعل ذلك. وكان يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استسرار بذلك كما أوصت به).
جاء في روضة الواعظين:
مرضت فاطمة (عليها السلام) مرضًا شديدًا ومكثت أربعين ليلة في مرضها ...
فلما نعيت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف علي وأحضرته، فقالت: يا ابن عم إنه قد نعيت إلي نفسي وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة وأنا أوصيك بأشياء في قلبي.
قال لها علي (عليه السلام): أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله!
فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني فقال عليه السلام: معاذ الله أنتِ أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله مِن أن أوبخك بمخالفتي! قد عز عليّ مفارقتك وتفقدك، إلا أنه أمر لابد منه، والله جددت عليّ مصيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عظمت

وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها.
ثم بكيا جميعًا ساعة وأخذ علي رأسها وضمها إلى صدره ثم قال:
أوصيني بما شئت فإنك تجدني فيها أمضي كما أمرتني به وأختار أمرك على أمري.
فكان مما أوصته : أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي فإنهم عدوي وعدو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا تترك أن يصلي علي أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار.

(٢٠)

ابتسامتها الوحيدة بعد رحيل الوالد الحبيب

قال الإمام الصادق عليه السلام:
(والمرة الوحيدة التي ابتسمت فيها - فاطمة- عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله عندما نظرت إلى أسماء بنت عميس وهي - أي الزهراء- على فراش الموت بعد أن لبست ملابس الموت، فابتسمت ونظرت إلى نعشها الذي عمِلَ لها قبل وفاتها وقالت: سترتموني ستركم الله).
من كتاب أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت.
***
أقول بعدما قرأناه عن إمامنا الصادق (عليه السلام) وعن ابتسامتها الوحيدة تلك..
آه يا زهراء! على سرير الموت ولا تتكلمين إلا عن الستر والعفاف..
وهناك من تأتي اليوم وتتبجح بالقول: من يثبت بأن الزهراء كانت تستر نفسها بالعباءة حين خروجها من البيت؟!
أين نحن عنكِ أيتها الطاهرة؟ كيف وصل الحال ببنات الإسلام إلى بغض الستر والعفاف والامتناع عن ارتداء ما يقيهن من نظرات الرجال؟!
والله لو كنتِ قدوتنا فعلاً لقرأنا عن حياتك الشريفة ولتمعنّا في فهم فلسفتك عن الحجاب والعفة والحياء والطهارة..
آه يا زهراء لو تشاهدين بنات المسلمين اليوم بل وبنات المؤمنين أيضا!!

لا أدري ما أقول يا مولاتي، فالقلب يعتصر المًا كلما تحدثت عن حجاب بناتنا اليوم وعن نظرتهن للستر والحياء.
لا أطلب منكِ أيتها الأم الحنون إلا أن تشملينا بدعاءك ليستر الله على بناتنا ونساءنا بالعفة والإيمان واليقين والستر الجسدي والقلبي، اشملي ذراري المؤمنين والمؤمنات بدعائكِ يا أمنا الطاهرة.
****
عن ابن عباس قال: مرضت فاطمة مرضًا شديدًا فقالت لأسماء بنت عميس:
ألا ترين إلى ما بلغت؟ فلا تحمليني على سرير ظاهر فقالت: لا لعمري ولكن أصنع نعشًا كما رأيت يصنع بالحبشة.
قالت: فأرينيه فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعت من الأسواق ثم جعلت على السرير نعشًا وهو أول ما كان النعش فتبسمت وما رؤيت متبسمة إلا يومئذ!!
وعن أسماء بنت عميس أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت لها: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة، قال: فدعت بجريدة رطبة فحسنتها ثم طرحت عليها ثوبًا فقالت فاطمة (عليها السلام): ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل.
وعن الصادق (عليه السلام) قال:
" أول نعش أحدث في الاسلام نعش فاطمة (عليها السلام) أنها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها وقالت لأسماء إني نحلت وذهب لحمي ألا تجعلين لي شيئا يسترني؟ قالت أسماء إني إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئا أفلا أصنع لك فإن أعجبك صنعت لك؟

قالت نعم. فدعت بسرير فأكبته لوجهه ثم دعت بجرائد فشدته على قوائمه ثم جللته ثوبا فقالت هكذا رأيتهم يصنعون. فقالت اصنعي لي مثله استريني سترك الله تعالى من النار "
وحديث أسماء مروي أيضا من طرق العامة بروايات عديدة .

(٢١)

فاطمة وأسماء

القصة لأحد إخواننا وهو من أهل السنة والجماعة نشرها أحد مسؤولي المنتديات الإلكترونية في موقع فتوى ليتأكد من صحة ما ورد فيها من أحاديث فجاءه الرد بأنها أحاديث وروايات صحيحة وإليكم نص القصة كما نشرها:
هي قصةُ امرأةٍ لا شك أنّكِ تحبينها، ومِن أعماق قلبكِ تجلينها.. كيف لا وهي ابنةُ أحبُّ الخلق صلى الله عليه وسلم، إنها الزهراء فاطمة رضي الله عنها .. أريدك يا غالية وأنتِ تقرئين هذه السطور أن تستشعري الموقف وكأنك تسمعين كلامها وتحسين بإحساسها ..
لما كانت جالسة رضي الله عنها مع أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وكانت أسماء مسترسلة في حديثها لفاطمة وتقول: كنا في الحبشة وحصل لنا كذا وكذا، وبينما هي كذلك إذ نظرت إلى فاطمة رضي الله عنها سارحة الذهن شاردة البال!! فسألتها قائلة: يا فاطمة مالي أحدثك فلا تسمعي إليّ؟؟ فإذا بالغالية ترد وتلقي بالدرر التي لا يدركها إلا من اختصه الله بنفس تلك المشاعر قالت : عذراً يا أسماء لكني كنتُ أفكر!! ما الذي تظنين أنه شغل فكرها؟!! قالت : يا أسماء إني أفكر في نفسي غداً إذا أنا مت!!! والله إنّي لأستحي أن أخرج عند الرجال في وضح النهار ليس عليّ إلا الكفن!!
سبحان الله تستحي وهي ميتة مكفنة في خمسة أثواب!! ما الذي سيظهر منها؟ ومن الذين سيحملونها؟ وهل هو موقف فيه أي نوع من أنواع الفتنة؟؟ فهي ليست في سوق أو حديقة أو منتزه! بل في موقف

حزن .. فقالت لها أسماء : ألا أصنع لكِ شيئاً رأيته في الحبشة .. نضع أعمدة على أركان النعش حتى يرتفع الغطاء على الأعمدة فلا يبين أي شيء .. فردت فاطمة قائلة : اللهم استرها كما سترتني .. لله درُّها تستحي وهي ميتة فما بال الأحياء لا يستحون؟؟

فلو مرت فاطمة رضي الله عنها في أسواقنا اليوم! ورأت من مات حياؤها!! فخصّرت العباءة ولونت أطرافها وتكسرت في مشيتها وعلت ضحكاتها وفاحت رائحة عطرها !!! فماذا ستقول رضي الله عنها؟؟ بل أين من تقول للمحتشمات إنهنّ معقدات فهل فاطمة معقدة؟ إذا كانت معقدة فهنيئاً للمعقدات!

لأن الله سبحانه وتعالى قد أرسلَ ملكاً من الملائكة لمحمد صلى الله عليه وسلم برسالة عظيمة .. وبشارة من أعظم البشارات يقول فيها سبحانه:" بشِّر فاطمة أني كتبتها هي سيدة نساء أهل الجنة " الله أكبر سيدة نساء أهل الجنة .. ما الذي أوصلها لهذه المنزلة؟؟ قال عليه الصلاة والسلام:

(الحياء لا يأتي إلا بخير) رواه البخاري .

فماذا عنك أخية هل أنتِ من نساء أهل الجنة أم لا؟ انظري إلى نفسكِ قليلاً وفكري في حالك. هل قدركِ عالٍ عند الله سبحانه وتعالى كفاطمة رضي الله عنها؟؟ أم أنه كالممثلات والمطربات؟؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم) رواه أبي داوود.

(٢٢)

رحيل النور

جاء في بحار الأنوار عن ابن عباس أن فاطمة بقيت أربعين يوما بعد والدها، وفي رواية ستة أشهر وساق ابن عباس الحديث إلى أن قال: لما توفيت (عليها السلام) شقت أسماء جيبها وخرجت فتلقاها الحسن والحسين فقالا: أين أمنا؟ فسكتت فدخلا البيت فإذا هي ممتدة فحركها الحسين فإذا هي ميتة، فقال: يا أخاه آجرك الله في الوالدة، وخرجا يناديان: يا محمداه يا أحمداه اليوم جدد لنا موتك إذ ماتت أمنا.
ثم أخبرا عليا وهو في المسجد فغشي عليه حتى رش عليه الماء ثم أفاق فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وا يتامى محمد، كنا نتعزى بفاطمة بعد موت جدكما فبمن نتعزى بعدها فكشف علي عن وجهها فإذا برقعة عند رأسها فنظر فيها فإذا فيها:
(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من القبور يا علي أنا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة أنت أولى بي من غيري حنطني وغسلني و كفني بالليل وصل علي وادفني بالليل ولا تعلم أحدا وأستودعك الله وأقرء على ولدي السلام إلى يوم القيامة).

(٢٣)

حزن علي لفقد الزهراء

لما نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :
" السلام عليك يا رسول الله مني، والسلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار لها الله سرعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي إلا أن في التأسي لي بسنتك والحزن الذي حل بي بفراقك موضع التعزي، فلقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمضتك بيدي، وتوليت أمرك بنفسي، نعم وفي كتاب الله أنعم القبول : " إنا لله وإنا إليه راجعون " .
لقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله! أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمُسهَّد، لا يبرح الحزن من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو .
وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك عليَّ وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .
سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين،

الصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، وللبثت عنده معكوفا، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا، وتهتضم حقها قهرا، وتمنع إرثها جهرا، ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته . (الأمالي للمفيد ص281) .

فما هي الظلامات التي وقعت على الزهراء والتي هدّت ركن أمير المؤمنين وهو ذلك الجبل الشامخ وجعلته يتحدث بهذه الطريقة عند رحيل الزهراء وشهادتها سلام الله عليها؟!

يجيبنا عن تلك التساؤلات القاضي أبي بكر بن (أبي) قريعة حيث قال:

ولرب مستور بدا * كالطبل من تحت القطيفة
إن الجواب لحاضر * لكنني أخفيه خيفة
لولا اعتداء رعيةٍ * ألقى سياستها الخليفة
وسيوف أعداء بها * هاماتنا أبدا نقيفة
لنشرت من أسرار * آل محمد جملاً طريفة
تغنيكم عما رواه * مالك وأبو حنيفة
وأريتكم أن الحسين * أصيب في يوم السقيفة!
ولأي حال لُحِّدَت * بالليل فاطمة الشريفة؟!
ولِما حمت شيخيكم * عن وطئ حجرتها المنيفة؟
أوهٍ لبنت محمد * ماتت بغصتها أسيفة

(٢٤)

محاولة نبش قبر الزهراء!

وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبرا جددا، وإن المسلمين لما علموا وفاتها جاؤوا إلى البقيع، فوجدوا فيه أربعين قبرا، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضج الناس ولام بعضهم بعضا وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلا بنتا واحدة تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها.
ثم قال ولاة الأمر منهم: هاتم من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلي عليها ونزور قبرها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فخرج مغضبا قد احمرت عيناه، ودرت أوداجه وعليه قباه الأصفر الذي كان يلبسه في كل كريهة، وهو متوكئ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع، فسار إلى الناس النذير وقالوا: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه يقسم بالله لئن حول من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الاخر.
فتلقاه عمر ومن معه من أصحابه وقال له: مالك يا أبا الحسن والله لننبشن قبرها ولنصلين عليها، فضرب علي (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوبه فهزه، ثم ضرب به الأرض، وقال له: يا ابن السوداء أما حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فوالذي نفس علي بيده، لئن رمت وأصحابك شيئا من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم، فإن شئت فأعرض يا عمر.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن بحق رسول الله وبحق فاطمة إلا خليت عنه، فإنا غير فاعلين شيئًا تكرهه. فخلى عنه وتفرق الناس.

*بحار الانوار: ٤٣
*دلائل الإمامة للطبري: ٤٦-٤٧

(٢٥)

لا معنى للحياة بعد هذه الثلاث!

مما صدر عن الزهراء عليها السلام قولها :
(حبب إلي من دنياكم ثلاث : تلاوة كتاب الله والنظر إلى وجه رسول الله والانفاق في سبيل الله).
فلما فقدت وجه (رسول الله) وقيدوا بعلها (كتاب الله الناطق) ومنعوها (الإنفاق في سبيل الله) من أرضها التي خصها بها والدها..
حينها لم يبقَ معنى لحياتها، فلقد فقدت أحبَّ ثلاثٍ إلى قلبها، فاختار لها الله دار السلام وهي ما تزال ابنة العشرين عامًا، أقل أو أكثر بقليل!!!
انتشرت ثلاث روايات عن تأريخ رحيلها صلوات الله وسلامه عليها ..
الرّواية الاولى : تنصّ على أنَّ استشهادها (عليه السلام) كان في {الثامن من شهر ربيع الثاني}
وبناءً على هذه الرواية تكون الزهراء عليها السلام قد بقيت بعد أبيها أربعين يوما.
الرّواية الثانية : تنصّ على أنَّ استشهادها (عليها السلام) كان في { الثالث عشر من جمادي الاول}
وبناءً على هذه الرواية تكون الزهراء عليها السلام قد بقيت بعد ابيها خمسًا وسبعين يوما.
الرّواية الثالثة : تنصّ على أنَّ استشهادها (عليها السلام) كان في {الثالث من جمادي الثاني }

وبناءً على هذه الرواية تكون الزهراء عليها السلام قد بقيت بعد أبيها خمسًا وتسعين يوما.
ولا أحد يعلم حقيقة تأريخ استشهادها في زمننا هذا غير ولدها الحجة إبن الحسن روحي فداه كما هو الحال مع موضع قبرها الشريف وكما هو الحال مع ليلة القدر، فلدينا ثلاث ليالٍ ننقطع فيها إلى الله تعالى بالعبادة والتهجد حتى الصباح ولا نعرف ليلة القدر الحقيقية أيها من أي!
وكأن هناك ارتباط وثيق بين فاطمة وليلة القدر، فكلاهما لا يعرف قدرهما وحقيقتهما إلا الله تعالى والمعصومون الأربعة عشر يمثلهم اليوم قائمهم الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف.
وكأن حكمة الله شاءت أن تكون ذكراها على مدار ثلاث روايات ويندثر تأريخ رحيلها الحقيقي ليكثر الحديث عن مظلوميتها في ثلاث أوقات من كل عام لتبقى الأجيال تتناقل هذه المظلومية عامًا بعد عام وجيلًا بعد جيل.
****
فالسلام عليكِ أيتها الحوراء الانسية، السلام عليكِ أيتها الطاهرة الزكية، ويالها من نهايةٍ حزينة تنتهي بها قصتكِ يا فراشة الحب والسلام!
تعسًا لقومٍ تجرأوا وكسروا جناحيكِ الطاهرين فغدوتِ كسيرة مهضومةً مقتولة بغصتك!
ورغم كل ما ألمَّ بك أيتها الطاهرة القديسة فما زال النور الذي يتهافت علينا من ظللكِ الشريف ينير علينا ظلمة الليل ووحشة الزمن وغربة الأيام والسنين..

مازال ذكركِ يملأ قلوب محبيك، وحنانكِ يشعرهم بالأمن والطمأنينة فيتجرعوا ويتحملوا كل غصة وألم حينما يتذكروا أن مولاتهم عانت أضعاف ما عانوا من مظلومية واضطهاد وتنكيل وتجريح.. حتى كانت نهايتها الشهادة والرحيل السريع إلى حيث والدها الحبيب.

فالسلام عليكِ يوم ولدتِ، والسلام عليكِ يوم استشهدتِ والسلام عليكِ يوم تبعثين على رؤوس الأشهاد ليأخذ الله حقكِ من أعداءه وأعداء رسوله وأعداء بعلكِ علي وأعداءكِ يا بضعة الرسول وروحه التي بين جنبيه.

* النهـايـــة*

